

الدكتور توفيق توما في ذمة الله ٤ ايلول ١٩٩٨

الصلاة لراحة نفسه نهار السبت ٥ ايلول ١٩٩٨

في كنيسة مار دانيال - حدث الجبة

"غريبة الحياة وغريبة حياتي بالذات وفريدة لقد جمعت فيها بين البدائبة الخام واقصى تعقيدات الحضارة" هذا ما كان يردده د.توفيق توما عندما كان ينظر الى سنيه عمره. امضى طفولته وشبابه الاول حتى ١٧ من عمره متنقلا بين وديان قريته وجبالها حاجزا عالمه في قطيع يواكبه طيلة ساعات يومه. في ١٧ من عمره لم يكن توفيق توما يحسن لا الكتابة ولا القراءة ، عندها ترك الجرد راحلا نحو المدينة . حيث دخل مرحلة التعليم الابتدائي ثم مرحلة التعليم الثانوي ونال بعدها المؤهلات التالية:

-التربية والتعليم من دار المعلمين -التربية وعلم النفس من مدرسة الآداب العليا -الحقوق من جامعة القديس يوسف

-الفلسفة وعلم النفس من الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة -التاريخ والجغرافيا من جامعة ليون وباريس -العلوم الاقتصادية والاجتماعية من جامعة السوربون في باريس .
وتوج تحصيله بدكتوراه الدولة الفرنسية في الآداب والعلوم الانسانية بدرجة الشرف العليا من جامعة باريس .

مارس التعليم الابتدائي والثانوي ثم تفرغ للتدريس في الجامعة اللبنانية فرع العلوم الاجتماعية . وكان في كل تلك المراحل متفرغا لطلابه يعطي العلم بسخاء من يعرف قيمة الجوع الى الثقافة والتحصيل . احيل الى المعاش في تموز ١٩٨٤ فأقتصر نشاطه على المطالعة والكتابة والعمل فكثر نتاجه وتنوع فبالاضافة الى سلسلة الاحاديث في الاذاعة اللبنانية . كتب مقالات متعددة عن الاسرة وعن علم النفس في دائرة المعارف وحاضر عن الفكر الاجتماعي في الحضارة العربية وعن الرائد في علم الاجتماع.

الف كتابا عن قريته حدث الجبة باللغة الفرنسية نشرته جامعة باريس ١٩٥٨ . وفي سنة ١٩٧٢ نشر كتابه " الموارنة والدروز " من القرن ١٧ وحتى سنة ١٩١٤ . الذي يعتبر من اهم المراجع لتاريخ لبنان في تلك الحقبة. كما نشر ايضا كتابا في علم الاجتماع عنوانه "الريف"
ان د.توفيق توما الذي امضى ربع عمره في جرود قريته زار العديد من عاصم العالم وحاضر في معظم جامعاتها وانتخب عضوا في " المعهد الدولي للحضارة " في بروكسل -بلجيكا وعضوا في المعهد الدولي للعلوم الاجتماعية في روما-ايطاليا . وكان على علاقة بكبار المفكرين الاوروبيين والفرنسيين بشكل خاص .

ولكن هذا العالم والمؤرخ الكبير رغم شهادته الكثيرة وبعد آفاقه العلمية كان لطيف المعشر متواضعا محبا للقريب ولعمل الخير لايهتم بالمظاهر الخارجية زاهدا بالدنيا وببريقها لذا لا نستغرب موقفه عندما عُين مديرا لكلية العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية فأعذر عن قبول المنصب شاكراً .
ولكي نتعرف اكثر الى الدكتور توفيق توما علينا ان نشاهد مكتبته الثرية بألاف الكتب التي تتناول جميع الحقول الاجتماعية والادبية والفلسفية والفكرية.

ولكن توفيق توما كان يعيش ريفه ويعشق الارض فكان يعطي ما للكتب وللكتب وما للارض للارض، يترك المجلدات في الداخل ويعود الى ارضه يعمل بها بحب وصفاء

هذا هو توفيق توما